

كربلاء وعاشوراء وأثرهما في تحكيم الهوية الشيعية (دراسة في الشعر العربي من العصر الإسلامي إلى العصر البويعي)

زهرة نايمي*

أستاذة مساعدة بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمي

تاريخ القبول: ١٤٤٣/١/١٧

تاريخ الوصول: ١٤٤٢/١١/١٣

الملخص

الهوية هي حقيقة الشخص أو الشيء أو الجماعة والشعب. ما من كائن بدون هوية في عالم الوجود. للهوية أنواع، من ذلك: الهوية التاريخية، واللغوية، والدينية، والاجتماعية، والثقافية. هذه الورقة تستهدف دراسة أثر كربلاء واقعة عاشوراء في الهوية التاريخية، والاجتماعية والثقافية للشيعية في الشعر الشيعي القديم، من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، مبنية على منهج تحليل المحتوى النوعي. يركز هذا البحث على شعر عشرة شعراء شيعيين قداماء. تتوصل هذه المقالة إلى نتائج منها: إن كربلاء بعد قيام الإمام الحسين (ع) جزءاً من تاريخ الشيعية وهويتهم التاريخية وهويتهم السياسية، لا يمكن فكها عنها فالشعراء حفظوها في دواوينهم، كما أنّها هي العامل الأساس في وحدة الشيعية. الآداب الاجتماعية والثقافية الخاصة بالشيعية في يوم عاشوراء التي تشكل هويتهم الاجتماعية والثقافية، ليست ذات بُعد وجداني عاطفي فقط بل لها أبعاد سياسية، وروحية ودينية أيضاً. فالشاعر الشيعي يتمسك بها في شعره لتحكيم الوحدة بين أبناء قومه و الحفاظ على هويتهم الدينية وصيانتها من التحريف والزيف. فنرى الشعراء الشيعية القداماء لا يميلون كثيراً إلى بيان تفاصيل واقعة عاشوراء، بل يتحدثون عن الكليات التي تشكل أسس معتقداتهم.

المفردات الرئيسية: كربلاء، الشعر العربي القديم، الهوية الشيعية، الهوية التاريخية، الهوية الاجتماعية والثقافية.

١- المقدمة

الهوية منسوب إلى هو، وفي اللغة بمعنى حقيقة الشيء أو الشخص التي تميّزه عن غيره. ما من كائن بدون هوية في عالم

الوجود. إنّ الهوية بكلّ أواصرها هو سجلّ كل شعبٍ أو قومٍ أو معتنقي الأديان. إنّ هوية أية أمة هي صفاتها التي تميّزها عن باقي الأمم لتعبّر عن شخصيتها الحضارية. (هنتنغتون، ١٩٩٩: ١١٦)

"الهوية تتحدّد في مجموعة من المقومات الأساسية المتجسّدة في:

أ- اللغة الوطنية واللهجات المحلية

ب- القيم الدينية والوطنية المتكوّنة عبر العصور

ج- العادات والتقاليد

د- التاريخ النضالي الذي ينسجه الشعب من أجل الحفاظ على الهوية". (زغير، ٢٠٠٧: ٤٤٦-٤٤٩)

هذه المقومات التي ذكرها محمد زغير في كتابه، يؤكّد على الهوية اللغوية، الهوية الدينية، الهوية الاجتماعية والهوية التاريخية على الترتيب.

العامل الأساسي الذي يقدر على توحيد الهويات بأسرها هي الهوية الدينية لأنّ الإنسان لديه هذا الميل بطبيعة الحال. (أكبري، ١٣٨٧: ٢٢٤) هذه الورقة تستهدف إلى دراسة كربلاء وعاشوراء وأثرهما بل آثارهما في الحفاظ على الهوية التاريخية والاجتماعية والثقافية للشيعة في الشعر الشعبي القديم من العصر الإسلامي إلى أيام البويهيين، مرتكزةً على شعر الكميّ بن زيد الأسدي، السيد الحميري، دعبل الخراعي، أبوفراس الحمداني، ديك الجن الحمصي، منصور النمري، الصنوبري، مهيار الديلمي، الشريف المرتضى، الشريف الرضي، مبنيةً على منهج تحليل المحتوى النوعي؛ يُعدّ منهج تحليل المحتوى النوعي إحدى مناهج البحث التي تُستعمل لتحليل البيانات النصية كثيراً. تُستخدم هذه الطريقة في الإثنوغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والبحوث التاريخية. يركّز هذا المنهج على خصائص اللغة كوسيلة اتصال للحصول على معنى النص ومحتواه وتفسيره ووصفه. في هذا المنهج، لا يكون المحتوى الظاهر للنص ذا قيمة فحسب، بل يجب على الباحث أيضاً استخدام استنتاجه وحكمه وتفسير المحتوى المخفي للنص. (إيمان ونوشادي، ١٣٩٠: ١٧-١٨) غير أنّنا لانسى أنّ حزب الشيعة كان حزبا سياسياً وعقائدياً ذا علاقة بالدين الإسلامي فنحن بصدد دراسة هاتين الهويةتين ضمن الهوية الدينية لأنّ كربلاء، وهي محور بحثنا في هذا المقال، جزء من الأجزاء الاعتقادية الأساسية عند الشيعة كما لا يخلو بحثنا عن الهوية السياسية بسببٍ مرّ ذكره. هذا والتاريخ والهوية التاريخية ليس إلا عاكساً كل الأبعاد المختلفة في المجتمع من الثقافة، والسياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والدين و... من المناسب أن نذكر في سياقنا هذا، أنّ الأركان الأساسية العقائدية عند الشيعة ثلاثة: الغدير، كربلاء، والانتظار فهذه المقالة كما أسلفنا ستركز على الثاني منها ألا وهي كربلاء.

ما ينبغي أن يقال هنا هو أنّ الهدف من هذه الدراسة ليس فهم الماضي فقط ولكن الوقوف على أحداث الماضي والانتفاع بما في فهم الحاضر والتخطيط للمستقبل.

أمّا الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا المجال ونحن بصدد الإجابة عنها هي:

- ١- ما هو دور كربلاء في تحكيم الهوية التاريخية للشيععة في الشعر العربي القديم؟
- ٢- ما هي الموضوعات التاريخية التي تطرقت الشعراء الشيعة القدماء إليها؟
- ٣- ما هو دور كربلاء في تحكيم الهوية الاجتماعية والثقافية للشيععة في الشعر العربي القديم؟
- ٤- ما هي الموضوعات الاجتماعية والثقافية التي تطرقت الشعراء الشيعة القدماء إليها؟

١-١ خلفية البحث

تصدى الباحثون لقضية كربلاء و دور واقعة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين (ع) في إحياء الشيعة ومعتقداتهم بجميع أنواعها؛ كما أنّ المدونة الشعرية العربية تزخر بالبحوث التي تجعل الإمام الحسين (ع) وقيامها مادتها وموضوعها وتنتظر إليه من زوايا مختلفة إلا أنّ هذه البحوث مالت إلى الشعر العربي المعاصر أو قامت بالمقارنة بينه وبين الشعر الفارسي المعاصر؛ وإن تطرقت إلى الشعر العربي القديم فهي في أغلبها قامت بدراسة شخصية الإمام الحسين (ع) أو رثاءه؛ على هذا، ما وجدت الباحثة بحثاً أدبياً يشير إلى دراسة الهوية الشيعية والحفاظ عليها من خلال الشعر العربي القديم. فهذه الورقة تتطرق إلى دور الشعراء الشيعة القدماء في الحفاظ على الهوية الشيعية وإحيائها مرتكزةً على كربلاء والإمام الحسين (ع) من خلال أشعارهم. من هذه البحوث التي تقدّم ذكرها يمكننا أن نشير إلى ما يلي:

(أ) نشر فرامرز ميرزايي (١٣٨٣) مقالةً باسم "قيام امام حسين (ع) و شعر نو ادبيات معاصر عربي. (قيام الإمام الحسين (ع) و الشعر الحرّ في الأدب العربي المعاصر) كما يظهر من العنوان أنّ هذه الورقة تطرقت إلى الشعر العربي المعاصر ودراسة واقعة عاشوراء فيه فلا علاقة لها بمقالتنا موضوعاً وزماناً؛ لأنّ ورقتنا هذه تدرس مدى تأثير واقعة كربلاء في الهوية الشيعية كما أنّها تقف عند الشعر العربي القديم والمقالة المذكورة أعلاها تحتم بالشعر العربي المعاصر.

(ب) درست زهرة ناعمي (١٣٨٧) في أطروحتها باسم "بررسی و تحلیل نمادهاى دينى در شعر شيعه در قرون نخستين" (دراسة الرموز الدينية في الشعر الشيعي في القرون الأولى) دراسة سوسولوجية للرموز الشيعية في الشعر العربي القديم كالرموز المكانية والزمانية ورمز الشخصيات الدينية من حيث أنّها حقيقية و من أصل الدين أو غير حقيقية وليست جذورها في أصل الدين بل لها أصول ثقافية. والحال أنّ موضوع دراستنا هذه هو دراسة الهوية الشيعية المنبعثة من واقعة عاشوراء؛ فمن مطالعة هذه الأطروحة يتبيّن للقاريء أنّ هناك اختلاف ملحوظ بينها وبين موضوع مقالتنا هذه.

(ج) "غلامرضا جمشيدىها و عليرضا قبادى (١٣٨٦) في مقال لهما باسم تحليل جامعه شناختى از مراسم و مناسك دينى با تاكيد بر مراسم عاشورا" في (التحليل الاجتماعي للطقوس الدينية مع التركيز على عاشوراء) تطرقتا في بحثهما هذا، إلى التقاليد الشيعية العاشورائية في إيران. لذلك موضوع هذه المقالة يختلف عن موضوع المقالة الحاضرة.

(د) كاووس حسن لى و غلامرضا كافى (١٣٨٦) في مقالة "ويژگى هاى شعر عاشورايى از آغاز قرن چهارم تا پايان قرن نهم (مميزات الشعر العاشورائي من القرن الرابع إلى القرن التاسع) اتّخذوا الشعر الفارسي القديم مادةً لبحثهما من خلال

القرون المحددة. فهناك اختلاف أساس بين هذه المقالة ومقالتنا من حيث اختيار لغة المادة الأدبية فهي اختارت الشعر العاشورائي الفارسي ومقالتنا تقوم بدراسة الشعر العاشورائي العربي. خليق بالإشارة أنّ مقالتنا تدرس الهوية الشيعية ولا ميزات الشعر العاشورائي فقط.

هـ) حسين پور احمدی (۱۳۸۸) في أطروحته باللغة الفارسية المعنونة بـ "فرآیند تحولات مراسم ومواسم شيعه اماميه در شرق عالم اسلامي (از آغاز تا قرن دهم هجري قمری)" (معالجة تطورات التقاليد والآداب الشيعية الإمامية في شرق العالم الإسلامي من البداية حتى القرن العاشر الهجري القمري) تطرّق إلى التقاليد الشيعية من خلال التاريخ ولا الأدب. و) السيد حسين السيدي وهوشنگ استادي (۱۳۸۸) في مقال لهما تصدياً لمضامين الشعر الشيعي القديم والبنية اللغوية له وذلك يحمل عنوان "تجلي عاشوراء والثورة الحسينية في الشعر الشيعي" فإنّها تختلف عن موضوع المقالة الحاضرة موضوعاً ومضموناً.

وهناك مقال يحمل عنوان "تجلي عاشوراء والثورة الحسينية في الشعر الشيعي" للسيد حسين السيدي وهوشنگ استادي، منشورة في فصلية "شيعه شناسی" في العدد ۲۸ سنة ۱۳۸۸. هذه المقالة تصدّت لمضامين الشعر الشيعي القسّم والبنية اللغوية له. فإنّها تختلف عن موضوع المقالة الحاضرة موضوعاً ومضموناً.

ز) كتب عبد العلي آل بويه لنگرودي ونرگس أنصاري (۱۳۸۹) مقالة باسم "سيمان امام حسين (ع) در شعر عاشورايي معاصر فارسي و عربي با تكيه بر اشعار برجسته شاعران سده اخير". (الشعر العاشورائي المعاصر في الفارسية والعربية في ضوء القوائد المتميزة لشعراء القرن الأخير) هذه المقالة مثل المقالة السابقة تبحث عن شخصية الإمام الحسين (ع) في الشعر المعاصر العربي والفارسي فلا علاقة لها بموضوع مقالتنا هذه.

ح) على پيراني شال و حسين روستايي (۱۳۹۱) في مقال لهما باسم "رثاء الإمام الحسين (ع) في ملحمة عيد الغدير" تطرّقاً إلى "ملحمة عيد الغدير" لبولس سلامة، الشاعر المسيحي المعاصر، مادةً لبحثهما. فقاما بدراسة الإمام الحسين (ع) وبيان فضائله وتبيين عظمة مصيبيته فيها؛ فإنّها تختلف تماماً عمّا درسناه في مقالتنا موضوعاً ومضموناً وهدفاً وزمناً.

ط) شخصيت نمادين امام حسين (ع) در شعر شريف مرتضى" (شخصية الإمام الحسين (ع) الرمزية في شعر الشريف المرتضى) عنوان مقالة كتبها صابرة سیاوشي ومولا شكارى مير (۱۳۹۲)". الكاتبان ركّزا في المقالة المذكورة على الجوانب الفردية والاجتماعية لشخصية الإمام الحسين (ع) في شعر الشريف المرتضى. مع أنّ الباحثان اختارا مادّتهما من الشعر الشيعي القديم لكنّ موضوع دراستهما فيها يختلف عمّا نتابعه في مقالتنا.

ي) پيمان صالحى و سهراب سهيلي گيلان (۱۳۹۵) كتبا مقالة باسم "عاشورا و امام حسين در اشعار شاعران فارسي و عربي معاصر" (عاشوراء والإمام الحسين في شعر الشعراء العرب والفرس). كما يوحي اسم هذه الورقة أنّ المحورين الأساسيين فيها: الشعر العربي المعاصر والشعر الفارسي المعاصر ومقارنة عاشوراء بينهما والحال أنّ موضوع المقالة

الحاضرة دراسة عاشوراء من منظور الهوية الشيعية؛ وقد تمّ إنجاز ذلك عن طريق الشعر العربي القديم ولا المعاصر. (ك) هناك مقال معنون بـ "امام حسين، اسوه پايدارى در شعر مظفر النواب"، (الإمام الحسين، أسوة المقاومة في شعر مظفر النواب) لباحثان ابوالحسن امين مقدسي ومهدى شاهرخ (١٣٩٥). مظفر النواب، الشاعر الشيعي العراقي المعاصر، استخدم شخصية الإمام الحسين (ع) رمزا وقناعا للمقاومة والمثابرة ضد الظلم فالباحثان في هذه المقالة اهتمّا بدراسة شخصية الإمام في شعر هذا الشاعر العراقي. كما ظهر أنّ المحور الأساس في هذه المقالة تختلف اختلافا كبيرا عن موضوعنا.

(ل) وهناك مقالة معنونة بـ "بررسی تطبیقی رثای امام حسین (ع) در شعر شریف رضی و محتشم كاشانی" (رثاء الإمام الحسين (ع) في شعر الشريف الرضي ومحتشم كاشاني، دراسة مقارنة) كتبها محمودرضا توكلي محمدى ومحسن قرباني حسارودي (١٣٩٥). "مع أنّ هذه المقالة تتصدى للشعر الشيعي القديم لكنّها تتطرق إلى المضامين العاشورائية عند الشعارين فقط و لهذا موضوعها يختلف عن موضوع المقالة الراهنة التي تسعى إلى دراسة أنواع الهوية الشيعية.

٢- مفهوم الهوية وأنواعها

من أنواع الهوية البشرية هي الهوية التاريخية. تتضح أهمية الهوية التاريخية عندما نعلم أنّها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالهوية الدينية والاجتماعية والثقافية وحتى السياسية و يمكن أن تشملهم جميعا.

من بين المكونات الذهنية للهوية، الوعي التاريخي والانتماء التاريخي له أهمية بالغة. الوعي التاريخي هو معرفة تاريخية يهتمّ بها الفرد والمجتمع. يتضمن هذا التعريف ثلاثة أبعاد:

١) المعرفة التاريخية، وهي تعني الوعي بأهم الأحداث والشخصيات التاريخية.

٢- الانتماء إلى الذاكرة التاريخية، وذلك يعني وجود مشاعر وانفعالات إيجابية وسلبية تجاه الأحداث والشخصيات التاريخية.

٣- الاهتمام التاريخي يعني الاهتمام بالماضي التاريخي. (معمار، ١٣٨٧: ٣٠٢)

في سياق هذه الذاكرة التاريخية والوعي التاريخي يتمّ تشكيل التضامن التاريخي والهوية التاريخية ويمتلك أعضاء أيّ مجموعة بطاقة هوية مشتركة.

إنّ الآداب العالمية لاسيما الشعر تحمل تاريخ الشعوب المختلفة. لا يستثنى الأدب العربي من هذه القضية فشعره اكتظّ بالوقائع التاريخية، هذا و لأنّ الشعر يتحرّك بحركة المجتمع والحياة، ويترجم تفاصيلهما. فنجد أرسطو يتجاوز هذا الحد و يرى أنّ الشعر أكثر فلسفة من التاريخ وأرقى، (مكاوي، ١٩٩٥: ٦٢) "ذلك لأنّ التاريخ يترجم الأحداث الواقعة كما هي بالنقل الحرفي المرتبط بالمعينة والرصد والأخبار، أما الشعر، فإنه يسرد الحدث وهو يستخدم خاصيته المرتبطة بالعاطفة والخيال. على أية حال، يمكن القول إنّ الشعر والتاريخ مجالان معرفيان يلتقيان حد الالتصاق في نقل الأحداث التاريخية، ولكن لكل منهما قلبه الخاص، فقد تعاونوا على نقل الحقائق، وعزّز أحدهما الآخر وقوّاه، (شويح، ٢٠١٦: ١٤٧-١٤٨)

فضلا عن هذا، إنّ الشعر يحافظ على كثير من أحداثنا التاريخية، بفعل خاصيته لأنه سهل الحفظ والرواية. على أساس ما أتينا به من آراء الكتاب هنا، يمكننا أن نقول إنّ الهوية التاريخية أول هوية يبحث عنها الإنسان. من أنواع الهوية هي الهوية الاجتماعية والثقافية. جننا بالهوية الاجتماعية والثقافية معا لأنّ الفصل بين الاجتماع والثقافة صعب جدًّا؛ فالثقافة لاتولد إلا وفي أحضان المجتمع.

أصبح مفهوم الهوية الاجتماعية الشغل الشاغل للمجتمعات، لأنّه يرتكز على السياق الثقافي الاجتماعي من حيث المنشأ والتكوين، ممّا زاد التأكيد الحضاري على أهمية تعزيز الهوية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية لأنّ عملية اكتساب الهوية تُعدّ من الوظائف الأساسية للتنشئة الاجتماعية وهي بوابة الانتماء إلى ثقافة المجتمع، وبذلك تحافظ التنشئة الاجتماعية على كيان المجتمع وتماسكه من خلال تحقيقها لأهدافها في تكوين الشخصية الاجتماعية للفرد ليكون منسجما ومنتشيا إلى مجتمعه وقادرا على المشاركة الإيجابية في الإنتاج المجتمعي، فالانتماء يوجّه الإحساس بالهوية المشتركة ويشكل وعي الفرد بانتسابه إلى جماعة ما لغةً وتاريخاً وقيماً وسلوكاً والمحافظة على الهوية والخصوصية الثقافية للمجتمع. ويؤكد ذلك أنّ الجزء الاجتماعي من الهوية يرتبط بطريقة تفسير الفرد لوجوده ضمن المجتمع وإعادة تعريف شخصيته وشعوره بالألفة والتنافس والمشاركة والمكانة ضمن الآخرين (حمّود والشّماس، ٢٠١١: ٥٥٥) كلّ شعب له هويته الاجتماعية الثقافية وتلك تتكوّن من خلال الآداب والمعتقدات والسلوك في المجتمع.

إنّ التقاليد الاجتماعية لكلّ شريعة مستمدة من معتقدات الشرائح المختلفة الخاضعة له وحاجياتها ونزعاتها، تظهر بأشكال مختلفة كمثل الطقوس، الرموز، الحفلات والمآتم. (پور احمدی، ١٣٨٣: ٢) أما الهوية الثقافية فمن المفاهيم التي قدّمت منظمة اليونسكو لها تعريفا، تعني أولاً وقبل كلّ شيء أننا أفراد ننتمي إلى جماعة لغوية محلية بما لها من قيم اخلاقية وجمالية تميّزها ويتضمّن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كليّة. (المحروفي، ٢٠٠٤: ١٦٤) على هذا الأساس، ففضية الانتماء هامة جدا في تكوين هوية الإنسان، فالإنسان الذي لاينتمي بجماعة أو بدين أو لغة... فلايستطيع أن يُعرب عن هويته؛ فهو يعاني من اللاهوية و يقع في أزمة نفسية صعبة.

هذا والهوية الإسلامية تتشكل من ثقافات الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام سواء اعتنقته أو بقيت على عقائدها التي تؤمن بها، فهذه الثقافات التي امتزجت بالثقافة العربية الإسلامية فهي اجتماع لهويات الأمم والشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة العربية الإسلامية، وهي بذلك هوية إنسانية متفتحة بعيدة عن الانغلاق. (العاني، ٢٠٠٩: ١٣٨) هذا وقد سمعنا كثيرا بأنّ الشعر ديوان العرب. لكن ما معنى هذه الجملة؟ في الإجابة يجب أن نقول إنّ هذه الجملة تعني أنّ الشعر العربي بطاقة هوية لمن ينتمي إلى العرب. فالعربيّ قادر على أن يبحث في هذه البطاقة عن هويته الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية وحتى الهوية الجغرافية. هذا و كلّ ما قلناه هنا يصدق على الشعر الشيعي القلم أيضا. فالشعراء الشيعيون بأثارهم خلقوا بطاقة هوية تاريخية للشيعية.

الهوية اجتماع لثلاثة عناصر دائماً ، هي: العقيدة التي توَفّر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى. (عمارة، ١٩٩٩: ٤٦) فالشيعية جمع بين هذه الثلاثة ليصنع هوية شاملة، والشعر بينها جزء من لسانه الذي يدافع عن هويته؛ لأنّ "اللغة هي التي تأتي بعد الدين بوصفها عاملاً مميّزاً للشعب ثقافة ما عن شعب ثقافة أخرى". (م.ن: ٥٤) ومن جهة، يقدّم الدين إجابات قوية لمن يواجه احتياجاً لتحديد "مَن أنا؟" و "لمن أنتمي؟" (كاظم، ٢٠٠٩: ٢٥٩) فالشعر الشيعي ضمن الحفاظ على المعتقدات الشيعية يجيب عن مثل هذه التساؤلات المتعلقة بالهوية بلسان الشعر.

إنّ الأديب سواء كان شاعراً أم كاتباً، يتعاون لأجل تعميق الوعي الحضاري، (الآوسي، ٢٠٠٠: ١٢٠-١٢١) وحفظ الحضارة الإنسانية بكلّ أبعادها؛ فهو هادفاً كان أو غير هادف، يمشى في طريق ترسيخ هوية شعبه.

٣- كربلاء والهوية الشيعية في الشعر العربي القديم

لا يمكن لأحد أن ينكر دور واقعة عاشوراء البارز والفعال في بناء الهوية الشيعية؛ لأنّها تمنح أهمية رمزية لذاكرة الشيعية الجماعية حيث إنّها تبدّلت إلى رمز لتكوين الدواعي القوية في قلوب الشيعية. لانستغرب إذا قلنا إنّها لا يوجد حادث أشدّ تأثيراً من واقعة عاشوراء في تكوين الهوية والشعور الجماعي للشيعية على مدى العصور الإسلامية بأسرها. في هذا القسم من هذا المقال، نؤي دراسة تأثير عاشوراء في الهوية التاريخية والاجتماعية- الثقافية الشيعية من خلال الشعر العربي القديم. لهذا أولاً نتصدى للهوية التاريخية وعناصرها ومضامينها في الشعر الشيعي ثمّ نتنقل إلى الهوية الاجتماعية- الثقافية فيه.

٣-١-١-٣-١-٣ كربلاء ودورها في الهوية التاريخية للشيعية

من هذا المنطلق، يصدق كل ما قلناه على الشعر الشيعي العربي، فالشاعر الشيعي منذ القرن الأول الهجري يستهدف تشكيل هوية تختلف اختلافاً في جميع مجالاتها عن الهويات الحية الأخرى، كما يستهدف ترسيخها عن طريق الذكر في الشعر والتكرار فيه، لأنّ الشعر هو الكنز التاريخي الفريد لكلّ شعب وعلى هذا المبنى يحافظ على هويته. فأناصر المذهب الشيعي أيضاً يبحثون عن هويتهم التاريخية التي يستمدونها من روايات المعصومين وأسالبيهم للاحتفال بيوم عاشوراء والكتب والروايات التاريخية والأدب بدقيته النثر والشعر. المقوّمات الثلاثة التي ذكرناها للهوية التاريخية من المعرفة التاريخية والانتماء إلى الذاكرة التاريخية والاهتمام التاريخي فنجدها جميعاً في الشعر الشيعي بصورة قوية.

والآن نقف عند بعض الحوادث التاريخية المتعلقة بيوم عاشوراء التي يقوم الشعراء بسردها في أشعارهم:

٣-١-١-٣-١-٣-١-٣ سَدّ الماء على الإمام الحسين وأصحابه

من المناسب أن نذكر في سياقنا هذا ما قاله الكميّ بن زيد الأسدي في الدفاع عن حقيقة الإمام الحسين (ع) و ذكر واقعة عاشوراء فيشير إلى حادث سَدّ الماء على الإمام وأصحابه في يومهم العظيم وهم أرباء. فيرى الكميّ أنّه لم ولن تلد الدنيا مخذولاً أكبر من الإمام الحسين (ع):

مُجَلَّعٌ مَنْ مَنْ مَاءِ الْفَرَاتِ وَظَلُّهُ حَسِيناً وَلَمْ يُشْهَرْ عَلَيْهِمْ مَنُصُوكُنْ

فلم أرَ مَخْدُولاً أَحَدًا مَصِيبَةً وَأَوْجِبَ مِنْهُ نُصْرَةً حِينَ يُجَادِلُ

(الصالح، ١٩٣٢: ٦٥-٦٦)

كما أشار أبو فراس الحمداني إلى حرمان الإمام الحسين (ع) من الماء في يوم عاشوراء فقال منشدا:

فُحْرِمْتُ قَرَبَ الْوَصْلِ مِنْهُ، مِثْلَمَا حُجِرَ الْحُسَيْنُ الْمَاءَ وَهُوَ يَرَاهُ

(الحمداني، ١٩٨٧: ٣١٢-٣١٣)

٣-١-٢ عطش الإمام الحسين (ع) وأصحابه

المتصفح لديوان دعبيل بن علي الخزاعي يصل إلى أبيات تؤمّي إلى عطش الإمام الحسين (ع) وأصحابه وهم على شاطئ الفرات حينما يخاطب السيدة فاطمة الزهراء (س) و يتحدث معها عن عدم الصبر والقرار في هذه المصيبة العظمى فينشد بلوعة وحرارة:

أَفَاطِمُ! لَوْ جَلَّتِ الْحُسَيْنَ مُجَدِّلاً وَقَد مَاتَ عَطِشَانًا بِشَطِّ فِرَاتِ

إِذْ لَطَمْتَ الْخَدَّ فَاطِمُ! عِنْدَهُ وَأَجْرِيَتْ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي الْوَجْنَاتِ

(الخرزاعي، ١٤٠٩: ١٣٥)

لايفوتنا هنا أن نشير إلى ما قاله أبو فراس الحمداني بشأن هذه القضية، ونحن من هذا المنطلق، نقصد التأكيد على تسجيل بعض الحقائق التاريخية الشيعية في الشعر عن طريق الروايات المأثورة إن اعتبرنا هذه الروايات جزءا من التاريخ. فالشاعر هنا بعد ذكر عطش الإمام ركّز إلى العلاقة الودية القوية بين الرسول الأعظم (ص) والإمام الحسين (ع) معتمدا على الروايات المروية عن المعصومين (ع).

فيتعجب عمّا فعل العدوّ به وهو صاحب مقام مرموق عند النبي الأكرم(ص)، عندما ينشد حزينا:

إِذْ قَالَ أَسْتَقْوِي قُمُوضَ الْقَنْبَلَا مِنْ شُرْبِ عَذْبِ الْمَاءِ مَا أَرَوَاهُ

فَاحْتَضِرُ رَأْسَ طَالِمَا مِنْ حَجْرِهِ أَدْتَهُ كَقَمَلَا جَدَّه وَيَدَاهُ

(الحمداني، ١٩٨٧: ٣١٢-٣١٣)

٣-١-٣ لَعْدَةُ وَالْعُدَّةُ لَفَتِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ

والآن علينا بتسليط الضوء على الجوانب التاريخية العاشورائية في شعر السيد الحميري من الشعراء الشيعة في القرن الثاني الهجري والذي أنشد سبعا من قصائده في كربلاء والإمام الحسين (ع). إنّه في واحدة من هذه السبعة يقوم بملامة بني أمية و تأنيبهم لإساءتهم بإبن بنت نبيهم وقتله وأصحابه.

فضلا عن الأبعاد الوجدانية والعاطفية التي تصدر من روح الشاعر المتألمة، تقف أعيننا على زاوية أخرى من شعره وهي ذكر الحقائق التاريخية عن كربلاء وما جرى فيها في يومها العظيم الذي يهّمنا جدا للاعتماد عليها وتوطيد الثقة فيها وسدّ الطريق على أيّ تحريف في تاريخ الشيعة أو أيّ تزوير وتشويه في حوادثه.

هذا ولأنّ هذه القصائد أقرب إلى زمن وقوع حوادث عاشوراء فالزيف والتحريف فيها يصل إلى أقلّ درجته. لكن ما هي هذه الحقائق التي سجّلها السيد الحميري لنا في شعره؟ ما يمكن قوله خلاصاً هو إشارته إلى جيش بني أمية و عددهم الهائل الذي يصل إلى ألوف ومن ثمّ ما أعدّوا من الغدّة والأدوات الحربية القوية والملابس المناسبة للحرب من مثل الخوذات والدروع والسيوف المشرفية الصارمة والرماح الطويلة، ثمّ إشارته إلى العدد القليل لجيش الإمام الحسين (ع) وهم سبعون فقط. ينشد السيد هكذا:

جَعَلُوا إِبْرِينَ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ غَرَضاً كَمَا تُرَى الدَّرَّهَ
لَهُ بِالسَّابِغَا تِ عَلَيْهِمُ وَالْمَشْرِقَةَ
وَالْبَيْضَ وَالتَّلَّابِ التِّمَّ نِي وَالطَّوَالَ السَّ مَهْرَةَ
وَهُمُ أُلُوفٌ وَهَوَ فَي سَبَعِينَ نَفْساً هَاشِمِيَهُ

(الحميري، لاتا: ٤٧١)

فهذه الأشعار خير مثال على أنّ الشعر الشيعي يحافظ على هوية الشيعة التاريخية عن طريق هذه المعلومات التي تبدأ في بدء الأمر بسيطة لكنّها تُعتبر وثائق تاريخية هامة؛ خاصةً للمؤرخين الذين يخوضون في غمار التاريخ للكشف عن أصالة الحوادث التاريخية وتفصيلها.

٣-١-٤- ضرب القضيبي على ثنانيا الإمام الحسين (ع)

إنّ السيد الحميري في قصيدة أخرى من قصائده الحسينية يشير إلى الحوادث التي حلّت بعد واقعة عاشوراء في مجلس يزيد عندما ضرب بالقضيبي على ثنانيا الإمام الحسين (ع). فرى السيد غاضباً على هذا العمل الشنيع الأشنع ومتعجباً، لأنّ الشفاء في فمه المبارك وتقبيله. ذلك؛ فينشد ويقول:

لَمْ يَنْزَلْ بِالْقَضِيْبِ يَعْ لَوْ ثَنَانِيَا فِي جَنَاهَا الشِّئْفَاءُ مِنْ كَلِّ دَاءٍ

(الحميري، ١٩٩٩: ٢٥)

٣-١-٥- كربلاء استمراراً للأحقاد البدرية

كما أسلفنا أنّ الشعر الشيعي يغلبه الحزن والألم ويرافقه الحسرة والدمعة لكنّه من خلال الإعراب عن همومه يسجل تاريخه و هويته أيضاً.

من الشعراء الشيعة الآخرين في القرن الثاني الهجري هو منصور النمرى. إنّه اشتهر بالتورية والتقية في أشعاره الشيعية. ومما لا شكّ فيه هو أنّ منصور قرض أشعاراً في كربلاء التي ليست لوقعتها كاذبة؛ فأودع قلبه الهائم الواله إلى أهل البيت (ع) ويتكلم عن كربلاء حزناً فيدلّنا من خلال أحزانه على حقيقة تاريخية بل وسياسية، وما هي إلا أنّ قتل الحسين (ع) في كربلاء استمراراً للأحقاد البدرية القديمة فيقول:

مَعَاشِرُ أَوْدَعَتْ أَيَّامُ بَدْرٍ صَادِرَهُمْ وَدِعَاتِي الْعَالِيَلِ

قَلَّمَا أَمْكَرَ الْإِسْلَامُ شُدُّوا عَلَيْهِ شِدَّةَ الْحَيِّقِ الصَّوُولِ
فَوَاقُوا كَرْبَلَاءَ مَعِ الْمَنَايَا بِمَرَدَاتٍ مُسَوِّمَةِ الْخَيْوَلِ
فَأَوْصَالَ الْحُسَيْنِ بِبَطْنِ قَاعٍ مَلَاعِصُ لِلدَّبُورِ وَالْقَبُولِ

(النمري، ١٩٨١: ١٢٦-١٢٨)

مهيار الديلمي من شعراء القرن الخامس الهجري أيضاً أنشد قصيدة في هذا السياق فيشير إلى هذه الحقيقة التاريخية ويسجلها في شعره و يقول:

مُلَصِّقٌ بِالْأَرْضِ جَسَماً، نَفْسُهُ فَوْقَ السُّكَاكِ مُفَرَّدٌ تَرْمِيهِ كَفُّ الْبَغْيِ عَنِ قَوْسِ اشْتِرَاكِ
أَظْهَرَتْ فِرْقَتُهُ بَدْرٍ فِيهِ أَضْغَانُ التُّوَاكِي ذَاكِي الْحَقَائِدِ أَوْ يُخَضُّبُ أَعْرَافَ الْمَنَاكِي

(الديلمي، ١٩٩٩: ٧٢)

٣-١-٦- بنو أمية وقتلهم الحسين (ع) ورفع رأسه على الرمح

تيار الوعي التاريخي والمعرفة التاريخية يواصل طريقه في شعر سائر الشعراء الشيعة. وجدنا بينهم في القرن الثالث الهجري، ديك الجن الحمصي الذي يهدينا إلى بعض الأحداث التاريخية في يوم عاشوراء، يحدّثنا عن سيوف بني أمية وهي تحيط بالإمام فقطعت ومزقت جسمه المبارك، وعن رماحهم التي يعلوها رأس الإمام والشهداء من أصحابه. الشاعر ينسى النوم والفرح عندما يتصور الإمام الحسين (ع) مخذولاً ومحاطاً بالسيوف الأموية فيغلب عليه الحزن و يقول:

مَرَّتْ بَقْلِي ذِكْرِيَاثُ بَنِي الْهُدَى فَتَسَيُّتُ مِنْهَا الرُّوحَ وَالنَّهْوِيَا
وَنظَرْتُ سِبْطَ مُحَمَّدٍ فِي كَرْبَلَا فَرَدّاً يُعَانِي حَزْنَهُ الْمَكْظُومَا
تَنَحَّوْا أَضْغَالَ عَهْ سَيْوُفٍ أَمِيئِيَةٍ فَتَرَاهُمْ الصَّمْصُمُومَ فَالصَّمْصُمُومَا
فَالجِسْمُ أَضْحَى فِي الصَّعْبِيَا مُؤَزَّعَا وَالرَّأْسُ أَمْسَى فِي الصَّعَادِ كَرْبَلَا

(الحمصي، ١٩٩٤: ١١٩)

إذا اعتبرنا الدين والمعتقدات الدينية جزءاً أساسياً من تاريخ كل شعب في العالم، فالشعر الشيعي في القرون الأولى هو شعر يهتم بأركانه الاعتقادية والذود عنها أكثر من اهتمامه بالجزئيات والتفاصيل لحقائقه التاريخية.

٣-١-٧- الشخصيات العاشورائيات وسبيهن

إحدى الحقائق التاريخية العاشورائية التي تُحرق قلوب الشيعة دوماً على مدى التاريخ وتجعلهم يرددونها لا على مدار كل عصر ولا كل سنة بل وعلى مدار كل ساعة هي سبي أهل بيت الإمام الحسين (ع) بعد قتله (ع) لاسيما إسارة السيدة زينب (س) ومصيبتها الثقيلة على أهل البيت المعصومين (ع) والشيعة بأسرهم، ودورها الريادي في ما جرى بعد ذلك اليوم العظيم.

من الشعراء الشيعة الذين يشيرون إلى سبي السيدة زينب (س) وأيتام الإمام الحسين (ع) هو دعبيل بن علي الخزاعي.

فهو يتكلم عن لسان السيدة زينب (س) عندما استغاثت بجدها محمد (ص) لكي يراها وباقي الأسارى في تلك الحالة السيئة التي لاتليق بآل بيت النبي (ع) فينشده:

لَمْ يَحْفَظُوا حَقَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِذْ جَرَّعُوهُ حَرَارَةً لَنْ تَبْرُدَ
 قَتَلُوا الْحُسَيْنَ وَأَتَكَلَمُوا بِسَبْطِهِ فَالْتَكَلُّ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ مُبَدَّدُ
 كَيْفَ الْقَرَارُ فِي السَّابَا يَا زَيْنَبُ تَدْعُو بِفَرْطِ حَرَارَةٍ يَا أَحْمَدُ
 بِالطَّفِّ حَوْلِي مِنْ يَتَامَى إِخْوَتِي فِي الْبُدْلِ قَدْ سُلبُوا الْقِنَاعَ وَالْجَرْدَا
 يَا جَدُّ لَوْ أَبْصَرْتَنِي وَرَأَيْتَنِي وَالْحَاسِدُ مِنِّي بِالْأَمَاءِ مُخْتَدُّ
 يَا جَدُّ قَدْ أَمْسَيْتُ مِمَّا نَالَنِي وَلَيْمَ أَعَانِيهِ أَقْسَمُومٌ وَأَقْعُدُ

(الخزاعي، ١٩٨٣: ٣٢٥-٣٢٨)

فضلا عن السيدة زينب (س)، أم كلثوم، بنت الإمام علي (ع)، من الشخصيات العاشورائية الأخرى التي تظهر على جبين الشعر الشيعي العربي القديم.

السنوبري من شعراء القرن الرابع الهجري، يذكر اسمها في شعره عندما يروي ما جرى عليها وحرمة الإمام الحسين (ع) بعد قتله (ع). إنه علاوة على ذكر أم كلثوم يشير إلى اضطرابها وأهل الخيام عندما أداروا طرفهم نحو مقتل الحسين (ع) ورأوه في تلك اللحظة الصعبة المؤلمة للقلوب كما وقفت نظرة الإمام القلقة المضطربة عليهم في اللحظة عينها، لأنه كان يعرف ماذا سيحري عليهم بعده.

ألا وإن هذه الحادثة المحزنة المضجرة هي قسم هام من واقعة عاشوراء التي حفظها الشعر كما أن ذكر أسماء الأشخاص الحاضرين في ذلك اليوم في الشعر يهّم الباحثين في تاريخ الشيعة لاسيما بعد أن شكوا في حضور بعض الشخصيات العاشورائية في ذلك اليوم بل و في كون بعضهم حقيقيين. لذلك ثانية نؤكد على الهوية التاريخية الشيعية التي حافظ عليها الشعر.

فلا يفوتنا هنا أن نشير إلى أبيات من السنوبري شاملة على ما قلناه:

أُمُّ كَلْبُومٍ وَنِسْوَاتُهَا بِمَنْظَرٍ يُكْبِرُهُ النَّاطِرُ
 يُسَابِقُ الطَّرْفَ إِلَيْهَا وَقَدْ أَنْحَسَ عَلَيَّ مَنَحِرَهُ النَّاحِرُ
 وَالْأَمْعُ مِنْ مُقَلَّتَيْهَا قَاطِرُ وَالْأَدْمُ مِنْ أَوْدَاجِهِ قَاطِرُ

(السنوبري: ١٩٧٠: ١٣٠)

٣-٢- كربلاء ودورها في الهوية الاجتماعية والثقافية للشيعة

للشيعة هويتها ومعتقداتها الاجتماعية، التي تشكلت منذ الأيام الأولى. فهناك أحداث لها أثر كبير في تشكيل أركان الشيعة الاعتقادية، منها واقعة عاشوراء وما حدث في كربلاء في ذلك اليوم، لأنها ولدت للشيعة سنناً، وآداباً، ورموزاً تختص

بهذا الفصل من الشعب الإسلامي. هذا و يهتَمنا "وصلة الأدب بالمجتمع الذي يعيش فيه الأديب إذ يعتبر مرآة المجتمع فلا بدّ من أن تجد أحداث تلك المجتمع و بخاصة الكبرى منها طريقها إلى كلامه و يجب على الأديب أن يبرز القيم العقديّة و الخلقية في إنتاجه الأدبي". (مرداني و الآخرون، ٢٠١٩-٢٠٢٠: ٢٦) و الآن نسعى إلى دراسة مضامين الهوية الاجتماعية الشيعية في الشعر العربي القديم:

٣-٢-١- القتل الكريم و تحقيق الأحلام

أحد الأعمال التي نراها في الشعر الشيعي وأخصّ بالذكر في شعر الكميّ بن زيد الأسدي هو تطرّقه إلى أحد المعتقدات الجاهلية عندما يتحدّث عن الإمام الحسين (ع). الجاهليون كانوا يعتقدون بأنّ المرأة العقيم إذا مرّت على جدّ قتل كريم تحمل. (ابن قتيبة، ١٩٨٤: ٩٠٨) فهو عندما يتحدّث عن الإمام الحسين (ع) يعتقد بأنّ المرأة العقيم إذا طافت حول جسم الإمام الحسين (ع) المبارك فتحمل فيقول منشدا:

قتيلٌ كَأَنَّ الوُلُوءَةَ التُّكْدَ حَوْلَهُ يَطْفُنُّ بِهِ شُؤْمُ العَرَانِيْنَ رَبِّرْتُ

(الكميت بن زيد الأسدي، ١٩٨٤: ٨٥)

طبعاً هذه المعتقدات خرافية لكنّ ظهورها في ديوان الكميّ يهدينا إلى قسم من الهوية الاجتماعية الشيعية آنذاك. حدير بالإشارة أنّ هذا الاعتقاد لانراه في شعر باقي الشعراء الشيعة الذين درسناهم في هذا البحث فكأنّه حُذِف من الذاكرة الاجتماعية للشيعة.

٣-٢-٢- زيارة الإمام الحسين (ع) والتأكيد عليها

من التقاليد التي شاعت بعد واقعة عاشوراء هي زيارة الإمام الحسين (ع) وبعض أصحابه في كربلاء. إنّ الزيارة تدلّ على احترام الشخصيات الكبار والتقرب إلى الله تعالى، وأخيراً على إعادة عمل الملائكة لأنّ الشيعة يرى أنّ مقابر أهل البيت (ع) محلّ اختلاف الملائكة فهم في حال زيارة قبورهم دوماً. لا ننسى أنّ " القبر حيزّ مكاني ضيق إلا أنه يحوي الأجداد والأصول، ويقف في وجه الزمن، ويمنحنا الشعور بقوة الأجيال الماضية على الصمود في وجه التغيير، ويستوحى (الشاعر) فكرة البعث لتحريك المشاعر الإيجابية للعمل على درب المجاهدين، وإثر خطاهم، فمن ظلمات القبر تنطلق الثورة فاتخذ القبر بُعداً رمزياً عميقاً. " (حمّودة، ٢٠٠٦: ١٠٥) ممّا سبق تبين لنا أنّ للزيارة أهمية بالغة عند الشيعة وإن تحملوا مصاعب كثيرة في هذا الطريق. من الشعراء الشيعة الذين أشاروا إلى هذه السنة الاجتماعية القديمة هو السيد الحميري الذي يزور قبر الإمام الحسين (ع) حزينا و يدعو الآخرين إلى زيارته أيضا ويقول:

أُمُورٌ عَلى حَمدِ الحَسينِ وَفُـلٌ لَـأعْظَمِ مِـمَّ الرِّكَبِ هـ

يَا أعْظَمَ لَازِلِـتِ مِن وَظَفِ سَـاكَ بِيَةِ رَوِيِّ هـ

مَا لَـئِدٌ عَيشٌ بَعْدَ رِضٍ كَـالِجِيَادِ الأَعوجِ هـ

(الحميري، ١٩٩٩: ٢٢٦)

من هذا المنطلق نرى الشريف المرتضى، الذي كان مشتاقاً إلى زيارة أبي عبدالله الحسين (ع) فيدعو أصحابه إلى كربلاء والبكاء عليه (ع):

عُجج بالطُفوف عيسك واعتقلا _____ هههً فيهم _____ ولا تجزوم _____ دارا
وابك لي مسعداً لحزني وامتح _____ بي دموعاً إن كرس فيك غزارة

(الشريف المرتضى، ١٩٥٨: ٥٣)

٣-٢-٣- إعادة أعمال يوم عاشوراء

"يقول الإسلام بأنّ الاتصال مع الغيب يمكنه أن يكون أفعال عندما يجري في أثناء اللحظات الاحتفالية بالفعل الإلهي، المتصل بالوجود البشري، وقد لا يخلو هذا الاعتقاد من تأثير في اختيار المواقف أي الأوقات التي تُقام في أثناءها الصلوات الخمس، الشرعية، اليومية." (شلحد، ١٩٩٦: ١٦٣)

إنّ المقدسات الزمانية هو تكرار للزمان المقدس الأصلي؛ وبالتوازي مع ذلك أنّ الأزمنة المقدسة ليست مقدسة بالذات غير أنّ الحوادث الخالدة منحتها القدسية؛ بعبارة أخرى، كلّ زمن مقدس يرتبط بمحادثة معيّنة لها مدلول ديني أو سياسي كمثل يوم عاشوراء (سياسي وديني) الذي يوحى بمقتل الإمام الحسين (ع) وتكريم هذا اليوم هو تكبير الزمن المقدس هذا. (خليل، ١٩٨٦: ٧٣-٧٤)

٣-٢-٣-١- عدم ملازمة الفراش والنوم المريح

انطلاقاً مما تقدّم ذكره أنّ الشيعة يقوم بإنجاز الأعمال التي يكرّمونها في كل سنة تكريماً وتبجيلاً للأزمنة المقدسة عندهم. ففي أيام عاشوراء من كل عام أنّ الشيعة يكرّمون بعض ما حدث في واقعة عاشوراء رجاءً في المثوبة وكشفاً عن الهموم والأحزان ومواساةً للإمام وأصحابه في مصائبهم. منها ما مضى عليه الصنوبري في عدم ملازمته الفراش؛ كيف يمكنه أن يلزم الفراش و ينام نوماً مريحاً وجسم الإمام الحسين (ع) مُلقى على أرض كربلاء الحارة الملتهية فيقول:

ليس ميسرٌ فرشي ولا أنا منها _____ جانتب الجنب في الحسين الفراشا

(الصنوبري، ١٩٧٠: ٢١٨)

٣-٢-٣-٢- تمزيق الجيوب وعدم استعمال العطور

ف نجد الشريف المرتضى يهدينا إلى أعمال كمثل تمزيق الجيوب، وعدم استعمال العطور فهو لا يكتفي بتمزيق الجيب بل يمزق قلبه في هذه المصيبة ويدعو أصحابه إلى هذه الأعمال أيضاً. وما هو اللافت للنظر في أشعاره هو الإشارة إلى بعض هذه السنن والتقاليد العاشورائية التي باقية بعضها إلى يومنا هذا فيقول:

عُطّ تام _____ ورك _____ معش _____ رأ عطّ _____ والجيوب _____
واهجر الطيب _____ فلم _____ يت _____ نرك _____ لنا عاشور طيب _____

(الشريف المرتضى، ١٩٥٨: ١/٤٨)

كما يشير في الصفحة ١٤٨ من المجلد الأول من ديوانه إلى عدم شرب الماء كمثل الإمام (ع) (م.ن، ج ١، ١٤٨) أو في الصفحة ١٩٣ من المجلد الثاني إلى ترك الطرب والفرح (م.ن، ج ٢، ١٩٣) أو في الصفحة ٢٦٧ من المجلد الثالث إلى عدم الضحكة في يوم عاشوراء موسماً للإمام وأصحابه. (م.ن، ج ٣، ٢٦٧)

٣-٣-٢-٣- خلع العمامة والنياح على الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء

هذا وهناك تقاليد وآداب تخضع للمجتمعات الشيعية ولاسيما الدول الشيعية في العصور المختلفة. منها البويهيون الشيعة الذين أحدثوا تحولات كبيرة في تقاليد الشيعة. في سنة ٣٥٢هـ. أعلنوا رسمياً أنّ يوم عاشوراء عطلة وطلبوا من الناس أن يلبسوا ملابس سوداء في هذا اليوم، ويعطلوا المعاملات التجارية، فأقاموا في الأسواق خياماً لمآتم الإمام الحسين (ع) ومراسيم النوح والبكاء عليه. (ابن جوزي، ١٩٩٥: ٣١٩/٨) الشريف المرتضى وأخوه، الشريف الرضي، كانا يعيشان في أيام آل بويه فتأثرا بالتقاليد الاجتماعية التي وضعتها هذه الدولة الشيعية بل وكانت لهما حرية بالغة في إظهار عقائدهم الشيعية والدفاع عنها بالنسبة إلى العصور السابقة. مثلاً هو يدعو جماعة الشيعة إلى إزالة العمام من رؤوسهم إجلالاً للإمام (ع) و تكريماً له (ع) لأنه (ع) أيضاً ما كانت له عمامة بعد قتله كما يدعوهم إلى إقامة المآتم له يوم عاشوراء متأثراً بالتقاليد البويهية التي أسلفنا الذكر عنها لأنّ المآتم البويهية كانت أول مآتم رسمي من قِبَل دولة شيعية؛ (ابن الأثير، ١٩٧٩: ٥٤٩/٨) وإن كانت إقامتها استمراراً لمآتم الأئمة الأطهار في العصور المنصرمة. فنجده يقول:

قد قلت للقوم حطوا من عمامتهم
تحفة بمصائب السادة الصّـيد
نوحوا عليه فهذا يوم مصرعه
وعادوا أمّهم أيام تعديده

(الشريف المرتضى، ١٩٥٨: ١/٢٩٣)

مواصلة لما ذكرناه أنّ الشريف الرضي في قصيدته المعروفة "كربلا لازلت كربا وبلا" عندما يتحدث عن وقاحة حاملي رأس الإمام الحسين على الرمح مجزداً عن العمامة وفضائلتهم، يدعو الآخرين إلى إزالة عمامتهم ويرى أن عدم إزالتها نوع من التهنيتك والوقاحة إزاءه (ع).

٣-٣-٢-٤- ارتداء ملابس العزاء الحسيني

كما يشير إلى إساءة الأدب تجاهه (ع) لعدم ارتداءهم ملابس خاصة للعزاء. حريّ بالذكر أنّ الشيعة في أيام آل بويه كانوا يلبسون ثياباً خاصة للعزاء في يوم عاشوراء فالقسم الأخير من البيت المذكور يدلنا على هذا الأمر فيقول:

حملوا رأساً يُصنّون على
جده الأكرم طوعاً وإيماً
يتهدى بيدهم لم ينقضوا
عمّة المهام ولا حنوا الحبي

(الشريف الرضي، ١٩٩٩: ١/٩٦)

٤- النتائج

إنّ كربلاء جزءٌ من تاريخ الشيعة وهويتهم التاريخية فالشعراء الشيعة حفظوها في دواوينهم كما حافظوا على المعرفة التاريخية العاشورائية والوعي التاريخي لهذه الواقعة العظمى. فأشاروا إلى بعض ما حدث في ذلك اليوم إلّا أنّ هذه الإشارات التاريخية أو بعبارة أفضل المعارف التاريخية كليّة من دون ذكر التفاصيل. هذه المعارف المدروسة في هذه الورقة هي سدّ الماء على الإمام الحسين (ع) وأصحابه، عطش الإمام الحسين (ع)، العِدّة والعُدّة لجيش الإمام الحسين (ع) وجيش بني أميّة، ضرب القضيب على ثنايا الإمام، الأحقاد البدرية وأثرها في وقوع حادثة عاشوراء، بنوأميّة وقتلهم الحسين (ع) ورفع رأسه المبارك على الرمح والإشارة إلى النساء العاشورائيات وإسارتهم. فكلّ هذه القضايا التاريخية المذكورة تشكل قسما من الهوية التاريخية الشيعية التي حفظها الشعراء لنا. ما يهمنا في هذه الهوية التاريخية هو أنّ هذه القصائد أقرب إلى زمن وقوع حادث عاشوراء فالزيف والتحريف فيها يصل إلى أقلّ درجته خاصة في بعض الموضوعات التي وقعت محلّ الشكّ والترديد.

فضلا عن الهوية التاريخية، قامت هذه المقالة بدراسة الهوية الاجتماعية والثقافية التي برزت في الشعر الشيعي. التقاليد الاجتماعية والآداب الثقافية التي ظهرت في الشعر الشيعي القديم تشكل هذا النوع من الهوية الشيعية. وعلاوة على هذا، فدراستها تسلط الضوء على المجتمع العربي في تلك السنوات الماضية والقرون الحالية. التقاليد الاجتماعية الشيعية التي ظهرت من خلال هذه الدراسة هي زيارة الإمام الحسين (ع) والتأكيد عليها، فإنّها تُحدث آدابا اجتماعية ثقافية تختصّ بهذه الشريحة من المجتمع الإسلامي. وأيضا إعادة أحداث عاشوراء تندرج ضمن هذه التقاليد الاجتماعية فمنها: عدم ملازمة الفراش، وعدم الرغبة في النوم المريح الحلو، تمزيق الجيوب وعدم استعمال العطور، خلع العمامة والنياح على الإمام الحسين (ع) وارتداء ملابس العزاء الحسيني.

فهذه الآداب الاجتماعية والثقافية ليست ذات بُعد وجداني عاطفي فقط - وإن كان أبرز الأبعاد في شعر الشيعة - بل لها أبعاد سياسية، وروحية أيضا. فالشاعر يتمسك بها لتحكيم الوحدة بين أبناء قومه، ويفكر في نقل هذه الآداب إلى أجيال لاحقة، ويسعى إلى تقليل آلام الشيعة المضطهدة طوال التاريخ وإبعاد الضغوط الروحية والاضطرابات عنهم لأنّ الشيعة كحزب سياسي في العصور القديمة كان هدفا للعدوّ وأركانها كانت متزلزلة، وتحكيمها يفتقر إلى التحريض والتشجيع للقيام ضد العدوّ واسترداد حقوقهم وتثبيتها وإيجاد الوحدة بين أبناءها، فللشعراء دور أساسي في تحقيق هذه الأهداف، فنرى الشعراء الشيعة القدماء لا يميلون كثيرا إلى بيان تفاصيل القضايا التي حدثت لهم من مثل تفاصيل واقعة عاشوراء، بل يتحدثون عن الكليات التي تتشكل أسس هذه المعتقدات.

المصادر والمراجع

- ١- الأوسي، سلام كاظم (٢٠٠٠). الرؤيا والتشكيل في الشعر الأدبي المعاصر. أطروحة دكتوراه. كلية التربية. ابن رشد جامعة بغداد.

- ٢- ابن الأثير (١٩٧٩). الكامل في التاريخ. ج ٨. بيروت: دارصادر.
- ٣- ابن جوزي (١٩٩٥). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. ج ٨. تحقيق سهيل زكار. بيروت: دار الفكر.
- ٤- الأسدي، الكميّ بن زيد (١٩٨٤): هاشميات الكميّ. تحقيق داود سلّوم ونوري حمّودي القيسي، بيروت، عالم الكتب.
- ٥- أكبري، بجمن (١٣٨٧). بحران هويت و هويت ديني. بيك نور. سال ششم. ش ٤. صص ٢١٩-٢٣١.
- ٦- ايمان، محمد تقى و محمودرضا نوشادى (١٣٩٠). تحليل محتواى كفيى. مجله پژوهش. ش ٢.
- ٧- پور احمدى، حسين (١٣٨٣). فرآيند تحولات مراسم ومواسم شيعه اماميه در شرق عالم اسلامى (از آغاز تا قرن دهم هجرى قمرى). رساله دكتورى. دانشگاه تربيت مدرس.
- ٨- الحمداني، أبو فراس (١٩٨٧). ديوان الأمير أبي فراس الحمداني. تحقيق محمد التونجي. دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية.
- ٩- الحمصي، ديك الجنّ (١٩٩٤). ديوان ديك الجنّ الحمصي. تحقيق أنطوان محسن القوّال. ط ٢. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ١٠- حمّود، فريال، عيسى الشّمّاس (٢٠١١). مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين. مجلة جامعة دمشق. ج ٢٧.
- ١١- الخزاعي، دعبل بن علي (١٤٠٩). ديوان دعبل بن علي الخزاعي. تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي. ط ٢. قم: منشورات الشريف الرضي.
- ١٢- _____ (١٩٨٣). شعر دعبل بن علي الخزاعي. تحقيق عبدالكريم الأشر. ط ٢. دمشق: مجمع اللغة العربية.
- ١٣- خليل، خليل أحمد (١٩٨٦). مضمون الأسطورة في الفكر العربي. ط ٣. بيروت: دارالطليعة.
- ١٤- الديلمي، مهيار (١٩٩٩). ديوان مهيار الديلمي. ج ٢. شرح أحمد نسيم. ط ١. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ١٥- الدينوري، ابن قتيبة (١٩٨٤). المعاني الكبير في أبيات المعاني. بيروت. دار الكتب العلمية.
- ١٦- زغير، محمد عبده (٢٠٠٧). لغة الطفل في عصر العولمة. القاهرة: دارالعلوم.
- ١٧- السيد الحميري (لاتا). الديوان. تحقيق شاكرهادي شكر. بيروت: دارمكتبة الحياة.
- ١٨- _____ (١٩٩٩). الديوان. شرح ضياء حسين الأعلمي. بيروت: مؤسسة النور للمطبوعات.
- ١٩- الشريف الرضي (١٩٩٩). ديوان الشريف الرضي. ج ١. شرح محمود مصطفى حلاوي. ط ١. بيروت: شركة دارالأرقم بن أبي الأرقم.

- ٢٠- الشريف المرتضى (١٩٥٨). ديوان الشريف المرتضى. تحقيق رشيد الصفار. لامكا: دار إحياء الكتب العربية.
- ٢١- شلحد، يوسف (١٩٩٦). بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده. تعريب: خليل أحمد خليل. الطبعة الأولى. بيروت: دار الطليعة
- ٢٢- شويح، سلمان ساجت (٢٠١٦). الحوادث التاريخية في شعر أبي تمام. مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع. العدد ٢.
- ٢٣- الصالح، صالح على (١٩٣٢). القصائد الهاشميات والقصائد العلويات. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ٢٤- الصنوبري (١٩٧٠). ديوان الصنوبري. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دارالثقافة.
- ٢٥- العاني، خليل نوري مسيهي (٢٠٠٩). الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية. ط ١. بغداد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية/ ديوان الوقف السني.
- ٢٦- عمارة، محمد (١٩٩٩). مخاطر العولمة على الهوية الثقافية. ط ١. مصر: دار نفضة مصر للطباعة والنشر.
- ٢٧- كاظم، نائر رحيم (٢٠٠٩). العولمة والمواطنة والهوية. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية. عدد ١٠٨. صص ٢٥٣-٢٧٢.
- ٢٨- المحروقي، حمدي حسن (٢٠٠٤). دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة على الهوية الثقافية. مصر: منشورات جامعة عين شمس.
- ٢٩- مرداني، عفت و سمية حسنعليان وحميد احمديان (٢٠١٩-٢٠٢٠). الإحالة وتوظيفها في تماسك القصيدة الدينية عند الشريف المرتضى قصيدة الغدير نموذجاً. مجلة دراسات في العلوم الإنسانية. العدد ٢/٢٦. صص ٢٥-٤٤.
- ٣٠- معمار، رحمت الله (١٣٨٧). سنحش گرايش به هويت تاريخي. تهران: اداره كل مطالعات مركز تحقيقات و سنحش برنامه ای سازمان صدا و سيما.
- ٣١- مكاوي، عبدالغفار (١٩٩٥). شعر وفكر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٣٢- النمري، منصور (١٩٨١). شعر منصور النمري. تحقيق الطيب العشاش. دمشق: دارالمعارف.
- ٣٣- هنتنجنون. صامويل (١٩٩٩). صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي. ترجمة: طلعت الشايب.

المصادر باللغة الإنجليزية

References

- [1] Akbari. B., (٢٠٠٨). The Crisis of Identity and Religious Identity, Peyk Noor, Year ٦, Vol. ٤, pp. ٢١٩-٢٣١.(in persian)
- [2] Al-Ani. Kh., (٢٠٠٩). Islamic Identity in the Time of Cultural Globalization. Edition ١. Baghdad: Center for Islamic Research and Studies /Divan Al waqf Al sani.(in Arabic)
- [3] Al-Asadi, Al-Kumait bin Zaid, (1984): *Hashemiyat Al-Kumait*. Investigation

- by Daoud Salloum and Nuri Hamoudi Al-Qaisi, Beirut, the world of books.
(in Arabic)
- [4] Al-Aussi, S. K., (٢٠٠٠). 'Vision and Formation in Contemporary Literary Poetry'. Ph.D. Thesis. College of Education, Ibn Rushd University of Baghdad.(in Arabic)
- [5] Al-Dailami. M., (١٩٩٩). *Diwan Mihyar Al-Dailami*. Vol. ٢. Explained by Ahmed Nasim. First Edition. Beirut: Al-Alamy Foundation for Publications.
(in Arabic)
- [6] Al-Dinavari, Ibn Qutayba, (1984). *The Great Meanings in the Verses*. Beirut. Scientific Book House. .(in Arabic)
- [7] Emarah. M., (١٩٩٩). *The Dangers of Globalization on Cultural Identity*. ١ Edition. Egypt: Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing.(in Arabic)
- [8] Iman, Mohammad Taghi and Mahmoud Reza Noshadi (2011). 'Qualitative content analysis'. *Research Journal*. Vol.2.
- [9] Al-Hamdani. A., (١٩٨٧). *Court of Emir Abi Firas al-Hamdani*. investigation by Muhammad al-Tunji. Damascus: Iranian Cultural Adviser.(in Arabic)
- [10] Hammoud. F& Issa al-Shammas, (٢٠١١). 'Levels of Social Identity Formation and its Relationship to the Main Areas of Composition for a Sample of First-Grade Students of Both Genders'. *Damascus University Journal*. Vol. ٢٧.(in Arabic)
- [11] Al-Homsi, D., (١٩٩٤). *Diwan Deek Al-Jin Al-Homsi*. investigation by Antoine Mohsen Al-Qawwal. Second Edition. Beirut: Dar Al-Kitaab Al-Arabi.(in Arabic)
- [12] Huntington. S. (١٩٩٩). *The Clash of Civilizations, Remaking the World Order*. translated: Talat Al-Shayeb.(in Arabic)
- [13] Ibn Al-Atheer, (١٩٧٩). *Al-Kamil fi Al-Tarikh*. Vol. ٨, Beirut: Dar Sader. (in Arabic)
- [14] Ibn Jouzi. (١٩٩٥). *The Regular On the History of Kings and Nations*. Vol. ٨, investigation by Sohail Zakkaar. Beirut: Dar Al Fikr.(in Arabic)
- [15] Kazim. Th., (٢٠٠٩). 'Globalization, Citizenship and Identity'. *Al-Qadisiyah Journal in Arts and Educational Sciences*. Issue ١. Vol. ٨. Pp. ٢٥٣-٢٧٢.(in Arabic)
- [16] Khalil. Kh., (١٩٨٤). *The Content of the Legend in Arab Thought*. Third Edition. Beirut: Dar Al Talia.(in Arabic)
- [17] Al-Khuzai. D., (١٤٠٩). *Court of Dabal Bin Ali Al-Khuzai*. investigation by Abdul-Saheb Imran Al-Dujaili. second edition. Qom: Al-Sharif Al-Radhi Publications.(in Arabic)
- [18] Al-Khuzai. D., (١٩٨٣). *The poetry of Daabal Bin Ali Al-Khuzai*. investigation by Abdul-Karim Al-Ashtar. Second Edition. Damascus: The

- Arabic Language Academy.(in Arabic)
- [19] Al-Mahrouqi. H., (٢٠٠٤). *The Role of Education in Confronting the Repercussions of Globalization on the Cultural Identity*. Egypt: Ain Shams University Publications.(in Arabic)
- [20] Makawi. A., (١٩٩٥). *Poetry and Thought*. Egyptian General Book Authority. (in Arabic)
- [21] Mardani, Effat, Somaya Hassanalian and Hamid Ahmadian (2019-2020). Referral and its use in the coherence of the religious poem of Sharif Al-Murtada, the poem of Al-Ghadir as a model. *Journal of Studies in the Humanities*. Vol 2/26. pp. 25-44.(in Arabic)
- [22] Memar, Rahmat- allah,(2008). Measuring the tendency towards historical identity. Tehran: General Office of Studies, Research and Program Evaluation Center of the Radio and Television Organization. (in persian)
- [23] Al-Nameri. M., (١٩٨١). Mansour Al-Nameri's poetry. investigation by Tayyeb Al-Ashash. Damascus :Dar Al-Maarif.(in Arabic)
- [24] Pour Ahmadi.H., (٢٠٠٤). 'The process of developments in Shiite Imami rituals and ceremonies in the East of the Islamic world (from the beginning to the tenth century AH)'. PhD thesis. Tarbiat Modares University.(in persian)
- [25] Al-Saleh. S., (١٩٣٢). *Hashemit Poems and Alawiyat Poems*. Beirut: Al-Alamy Foundation for Publications.(in Arabic)
- [26] Al-Senoubri, (١٩٧٠). *Diwan Al-Senoubri*. investigation Ihsan Abbas. Beirut: Dar Al-Thaqafa.(in Arabic)
- [27] Al sayyed Al-Hemyari, (١٩٩٩). *Al-Diwan*. Explained by Diaa Hussein Al-Alami Beirut: Al-Nour Foundation for Publications.(in Arabic)
- [28] *Al sayyed Al-Hemyari. Al-Diwan*. Shaker Hadi Shukr's investigation. Beirut: Al-Hayat Library.(in Arabic)
- [29] Shalhad. Y., (١٩٩٤). *Holy Foundations among the Arabs before and after Islam*. Arabic translation : Khalil Ahmad Khalil. First Edition. Beirut: Dar al-Tali'a.(in Arabic)
- [30] Al-Sharif Al-Murtada, (١٩٥٨). *Court of Al-Sharif Al-Murtada*. Rashid Al-Saffar's investigation. Dar Al Ehyaa of Arab Books.(in Arabic)
- [31] Al-Shareef Al-Radhi, (١٩٩٩). *Diwan Al-Sharif Al-Radi*. Vol ١. Explained by Mahmoud Mustafa Halawi. First Edition. Beirut: Dar Al-Arqam Bin Abi Al-Arqam Company.(in Arabic)
- [32] Shawi`S., (٢٠١٤). 'Historical Incidents in Abu Tammam's Poetry'. *Journal of Arts, Literature, Anthropology and Sociology*. Issue ٢.(in Arabic)
- [33] Zughair. A., (٢٠٠٧). *The Child's Language in the Era of Globalization*. Cairo: Dar Al-Uloom.(in Arabic)

Karbala and Ashura their Effect in the Strengthening the Shia identity (Case Study: Old Arabic Poetry from Islamic era to the Buyid State)

Zohreh Naemi*

Assistant Professor, Department of Arabic Language & Literature, Kharazmi University

Abstract

Identity means the reality of a person, thing, group and nation. There is no being without identity in the world of existence. It has different in types like historical, linguistic, religious, social and cultural identifies. This paper aims to study the effect of Karbala and the Ashura events on the historical and socio-cultural identity of Shia in old poetry, from the first to the fifth century AH, based on the qualitative content analytical method. This research is based on the poetry of ten old Shia poets. This article draws conclusions such as: Karbala is part of the history of Shias, their historical and political identities, which cannot be deciphered. The poets have preserved it in their collections, as it is a factor for the unity of the Shiites. The social and cultural morale of the Shiites on the day of Ashura, not only has an emotional dimension, but political and spiritual as well. The poet adheres to it in order to establish unity among the people, and to minimize their pain. We see old Shia poets not very inclined to explain the details of Ashura, but rather talk about the faculties that constitute the foundations of their beliefs.

Keywords: Karbala; Old Arabic Poetry; Shiite Identity; Historical Identity; Social and Cultural Identities.

* Corresponding Author's E-mail: Naemi.zohreh@khu.ac.ir

کربلا و عاشورا و تاثیر آن در استحکام بخشیدن به هویت شیعه (مطالعه موردی: شعر قدیم عربی از عصر اسلامی تا دولت آل بویه)

زهرة ناعمی*

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خوارزمی

چکیده

هویت به معنای حقیقت شخص، شیء، جماعت و ملت است. هیچ یک از کائنات هستی بدون هویت نیستند. هویت انواع مختلفی دارد مانند هویت تاریخی، زبانی، دینی، اجتماعی و فرهنگی. مقاله حاضر می‌کوشد به مطالعه تاثیر کربلا و واقعه عاشورا در هویت تاریخی و اجتماعی - فرهنگی شیعه در شعر شیعی قدیم از قرن اول تا پنجم هجری بپردازد. لازم به ذکر است روش پژوهش در این مقاله روش تحلیل محتوای کیفی است. این مقاله شعر ده شاعر قدیم شیعه را مورد بررسی قرار می‌دهد. نتایج مقاله حاکی از آن است که کربلا بعد از قیام امام حسین (ع) جزئی جدایی ناپذیر از تاریخ شیعه، هویت تاریخی و سیاسی آن است؛ همان‌طور که عامل اساسی وحدت میان شیعیان است. و شاعران شیعه آن را در دیوان‌های خود حفظ کرده‌اند شیعه آداب و رسوم اجتماعی و فرهنگی خاصی برای روز عاشورا دارد که هویت اجتماعی و فرهنگی آن را تشکیل می‌دهد؛ در این هویت تنها بعد عاطفی اهمیت ندارد بلکه ابعاد سیاسی، روانی و دینی آن نیز مدنظر است. لذا شاعر شیعه برای تحکیم وحدت میان شیعیان و محافظت از هویت دینی آنان و نیز مصون داشتن آن از تحریفات و دروغ‌ها، در شعر خود به بیان هویت شیعه می‌پردازد. به همین دلیل شاعران شیعه در ادبیات قدیم عربی به بیان جزئیات واقعه عاشورا نمی‌پردازند بلکه از کلیاتی که پایه و اساس اعتقادات آنان را تشکیل می‌دهد، سخن می‌گویند.

واژگان کلیدی: کربلا، شعر عربی قدیم، هویت شیعه، هویت تاریخی، هویت اجتماعی - فرهنگی.